الطريق والحياة في الـمنطق العلوي

بقلم الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو

زعمَ أهـلُ القيـاسِ أنَّ الأعراضَ الإيجـابيَّـةَ تتلاءمُ مع تفرُّدِ الجوهرِ الفردِ بـالأزليـَّةِ، وكـذلكَ الأعراضُ السَّلبيَّةُ!!

لقد ردَّ عليهم مَنطِقُنا العلويُّ بقولِ الْمُعلِّم الأوَّل أرسـطو: (لا يُستثنى من الكائناتِ إلاَّ الجوهرُ الفردُ، أي أنَّ الجوهرَ الفردَ لا يُعتبرُ كائنًا من الكائناتِ الحقيقيَّةِ).

فهؤلاء أثبتوا الْمَاهيَّاتِ وغيرَها من الأعراضِ الإيجابيَّةِ والسـَّلبيَّةِ على الجوهرِ الفردِ، إلاَّ أنَّ هذه الْمَاهيَّاتِ والأعراضَ تقعُ في الْمَخلوقِ، ولا تقعُ في الجوهرِ الفردِ الْمُسـتغني عن الأعراضِ، فهل يُعقَلُ أنَّ الجوهرَ الفردَ سـيكونُ مُحتاجًا للقوَّةِ وانعدامِ الوَهنِ حتَّى يكونَ قويًّا؟ وهل يُعقَلُ أنَّ الجوهرَ الفردَ سـيكونُ مُحتاجًا للحركةِ وانعدامِ السـُّكونِ حتَّى يكونَ متحرِّكًا؟ إذن هو مُفتَقِرٌ إلى الْمَاهيَّاتِ والأعراضِ مُحتاجٌ إليها، ولو أنَّ هذا الكلامَ صـحيحٌ لَكانَ سـببُ إظهارِ الوهنِ هو انعدامُ القوَّةِ!! وسببُ إظهارِ السُّكونِ هو انعدامُ الحركةِ!! فهل يجوزُ هذا على الجوهرِ الفردِ؟

إنَّ الجوهرَ الفردَ لا يقعُ عليه ما يقعُ على الخلقِ، وإلاَّ وقعَ الشَّبَهُ الْمُؤدِّي إلى الباطلِ، وعلى هذا فإنَّنا عندما نقولُ: إنَّ الجوهرَ الفردَ مُنفردٌ عن الْمَاهيَّاتِ، فهذا لا يعني أنَّ نفيها يوجِبُ أن يقعَ عليه ضـدُّها؛ بل يعني أنَّهُ أجلُّ من الْمَاهيَّاتِ لأنَّهُ يُظهِرُها ويُخفيها كيفما شـاءَ، فلهُ الْمَشـيئةُ في إظهارِها أو إخفائِها.

وعلينا أن نفهمَ العبرةَ من قول سيِّدنا المسيح (ع): (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ، لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي، لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضـًا)؛ فالطَّرِيقُ وَالْحَيَاةُ أعراضٌ وجوديَّةٌ أظهرَها لإثباتِ الوجودِ وتبيانِ الحقِّ، فلا يُعقَلُ من جهـةٍ أن يُشـابهَ الجوهرُ الفردُ خلقَهُ بنفسِ الْمَاهيَّاتِ والأعراضِ، وبنفـس الوقـتِ لا يجوزُ أن يكونَ الجـوهرُ الفـردُ متعـدِّدًا، إنَّما هو جـوهرٌ أحـديٌّ صـمديٌّ مجـرَّدٌ، يُبدي ما شـاءَ من الأفعالِ والأعراضِ التي لا تَفاضُلَ بينها، ويخفي ما شاءَ منهـا، دونَ أن تكونَ هـذه الْمَـاهيـَّاتُ والأعراضُ كُنهـًا لهُ، ولا يجوزُ أن نوقعَ عليهِ بعض الْمَاهيَّاتِ

والأعراضِ دونَ البعضِ الآخرِ لقولِ الإمام علي (م): (إثباتُ بعضِ التَّشبيهِ يُوجِبُ الكُلَّ، ولا يَتَوجَّبُ كلُّ التَّوحيدِ ببعضِ النَّفي دونَ الكُلِّ).

الأستاذ المهندس: أسامة حافظ عبدو